خل الاسى ومصادر الاحزان جاءَ السرور فقم بنا للحان
حان به خمر المعاني روقت لمريد مدح السيد المحسان
فالانس عم الكون عند دخوله مصرا لملك ثابت الاركان
والصفو قال لاهل مصر ارخوا صدر الصفا عباس حلمي الثاني

٢٩٤ ٢٠٢ ١٣٣ ٨٨ ٥٩٢

سنة ١٣٠٩

وما فرغ اللسان من الانشاد حتى جاءَني خبر عفوه الكريم عني وصدور امره العالي بعودتي الى وطني تفضلاً واحساناً فاعتقل اللسان ولم يستطع النطق لعظم النعمة وخروجها عن حد ما يشكر فاني لو جمعت اللغات ونظمتها في سلسلة قصائد لا نهاية لها لكنت مقصراً في اداءِ الواجب لمرحوم اطلق لي قيد حياتي ومحفوظ خلصني من اسر الغربة ومتعني برؤية وطن اهله مبعث سروري ومرجع انسي فله الشكر ما حييت وان امتسمع الثناء عليه من رنين صوت عظامي . كل هذا والثناء على ذات العصمة والمقام الاسمى ذات الدولة الوالدة الفخيمة مرتبط بكل فاصلة من فواصل الشكر والحمد فمدح هذا البيت الكريم حق واجب على هذا المخلص في دعائه واهل بيته ما دام اللسان ينطق بما ينسب للمخلص

عبدالله
النديم

مقدمة مدح ومعرفة جميل

ليس من يتكلم على شيء بالحدس والتخمين كمن يتكلم فيه عن علم

وتحقيق · ذلك اني كثيراً ما رايت كلاماً في المروَّة واهلها ورجال الهمم والعزائم وثابتي القلوب عند النوازل والمعدمات وما كنت التفت لهذا البحث لتجختري في ثوب الامن واستغنائي عن الناس باستوائي معهم في الدعة والرخاء حتى وقعت في شدتي المعلومة وخرجت من مصر مختفياً فدرت في البلاد متنكراً ادخل كل بلد بلباس مخصوص واتكلم في كل قرية بلسان يوافق دعواي التي ادعيها من قولي اني مغربي او يمني او مدني او فيومي او شرقاوي او نجدي · واصلح لحيتي اصلاحاً يوافق الدعوى ايضاً فاطيلها في مكان عند دعوى المشيخة واقصرها في آخر عند دعوى السياحة مثلاً وابيضها في بلد واحمرها في قرية واسودها في عزوبة (عزبة) وقد رأيت من رجال المروَّة والهمم من لم يكونوا في حسابي ولو حدثت بما هم عليه من الهمة قبل رؤيتهم في الشدة لوقع الحديث موقع الاستبعاد او الاستغراب خصوصاً وان معظم من آووني لم يكن بيني وبينهم نسب ولا قرابة ولا سابقة صحبة ولم ادخل بلادهم قبل الاختفاء لغرض من الاغراض وكان يعز عليَّ بل يستحيل ذكر احدهم قبل صدور العفو العام اما الآن فقد حفظ لهم كتابي (الاختفاء) تخليد ذكرهم الجميل ومجدهم الاثيل · وعند ما دُلَّت الحكومة عليَّ لم تبعث رجلاً فظاً للقبض عليَّ بل بعثت رجلاً مهذباً هو محمد افندي فريد وكيل حكمدارية الغربية اذ ذاك فاشتد في اول الامر واراد ان يكتفني فلما ذكرته بأَني مذنب سياسي لا مجرم جنائي انصاع لافكاري وتلطف بي وتساهل معي ومكنني من دخول البيت لالبس ثيابي واوصي اهل البيت بما يفعلونه بعد توجهي وعند ما

وصلت معه الى مركز السنطة لم يضعني في السجن بل وضعني في محل العساكر وفرش لي كبود عسكري وامر لي بماء اتوضأ به لاصلي العشاء ثم اخذ خادمي واستنطقه وحده بما اضطره للاقرار ببعض من آووني واكرموني في الاختفاء ثم استحضرني اليه آخر الليل وحاول ان اعترف له بان احداً ممن ذكرهم خادمي كان يعرف حقيقتي فاكدت له عدم معرفة واحد منهم لي وكانت همته متجهة لاقراري بمعرفة سعادة منشاوي باشا لي فعزَّ عليه ذلك وامتلأ عجباً عند ما قلت له اني لم اعرف المنشاوي الى الآن ولم يكن بيني وبينه سابقة اجتماع فقال كيف ذلك مع شهرتكما فقلت الشهرة لا تقضي بالتعارف ما لم يكن هناك اختلاط وصحبة ولا صحبة بيننا فتكلم معاون البوليس بما هو اهله واعرضت عن ذكره لئلا الوث الصحيفة بهجر القول . وعند ما وجدت في طنطا وسألني الفاضل الماجد قاسم بك امين رئيس النيابة اذ ذاك قال لي انت حر في كلامك فقل ما شئت فلم يسمع مني ان احداً من الناس اوآني على اني فلان المطلوب للحكومة بل قلت له اني كنت ادخل بدعوى ادعيها واخرج خوفاً من تفرس صاحب البيت فيَّ وقبضه عليَّ وعند ما دخلت اسكندرية سألني الياس افندي ملحمه وانا معه في العربية عن منشاوي باشا فقلت له لم يكن يعلم من شأني غير اني رجل عالم يمني وعند ما جلست مع سعادة الهمام عثمان باشا عرفي محافظ اسكندرية اذ ذاك اخذ يلاطفني ويستميلني لاخذ افكاري على ما هي عليه فما زال يتنقل من تهنئة الى تبشير الى استعطاف حتى سالني عن منشاوي باشا ان كان يعلم حقيقتي فقلت له علمه بي كعلم دولتلو رياض باشا فانه

كان يعلم وجود رجل عالم يمني في القرشية وكان يحدثه باخباري الشيخ سعد والجوهري المنشاوي وبسيوني بك المنشاوي وغيرهم كما كانوا يحدثون سعادتي عثمان باشا ماهر وحسام الدين باشا وجاءني الشيخ سعد مرة يسألني عن اشياء على لسان دولة رياض باشا منها المثل المشهور · بعلة الورشان ياكل الرطب المشان · وقد رآه في جريدة فكتبت له جواب ما سال عنه · فقال لي ودولة رياض باشا كان يعلم حقيقتك فقلت له مبلغ علمه وعلم سعادة منشاوي باشا اني رجل عالم يمني متمكن من العلوم فاني كنت منكرًا هيئتي وصوتي ولهجة كلامي بحيث يعز على والدي معرفتي بتلك الحالة وكنت اجتمع بالناس في المجالس وعلى الطعام من غير مبالاة لعلمي بعدم اهتدائهم لمعرفتي بهذه الصورة والعقل يقضي بانه اذا كان منشاوي باشا يعلم شاني واني نديم لأخفاني عن اعين الناس خوفًا على مظهره وشرفه ان يمس اذا قبض عليَّ عنده · على اني لم اقم عنده اكثر من خمسة اشهر وقمت باسم التوجه الى الحج الشريف فاعرض عن السؤال بعد ذلك وانتهى الامر بتفضل واحسان المأسوف عليه افندينا توفيق باشا علينا وعلم كل ممن آووني ان ضيفهم الذي كان نزيلاً عندهم باسم المدني او الفيومي او اليمني او السبكي او الغزي او المغربي او الناجي او المصري هو عبدالله النديم فاقدم لجمعهم السعيد خالص الشكر ودائم الحمد والثناء على ما طوقوني به من النعم كما اشكر محمد افندي فريد دون صاحبه محمد افندي علي وجليسه مصطفى افندي شوقي · واثني على همة وعناية قاسم بك امين العالم الفاضل فانه اعتنى بشاني وارسل لي خالدا افندي الفوال لينظر حالة السجن

انظيف هو ام لا وهناك تضييق او تعذيب فلم اطلب منه اكثر من تنوير المحل ليلاً ورفع باب الملقف ليدخل الهواء ففعل وامر ان يرش في المحل حمض الفنيك كل يوم وان ترفع مستيلة البراز كل يوم مرتين او ثلاثا وان لا امنع من شرب القهوة والدخان ان اردت وزاد الفضل بقوله ان كان معه نقود فبها او لا فاستحضروا له ما يطلبه على حسابي ثم بادر بكتابة تلغراف الى الموسيو لوجريل النائب العمومي وجاءه رده بان المسالة ادارية لا تختص بالمحاكم . ثم لا انسى همة كل من اللورد كرومر (السير بارنج) وعطوفتلو حسين فخري باشا ناظر الحقانية اذ ذاك وعطوفتلو تجران باشا ناظر الخارجية كما لا انسى الثناء على رجال الوزارة العظام والاصولي الماهر المستر سكوت مستشار الحقانية فما من رجل منهم الا وله اثر يذكر في هذا الشان وكأنَّ ما جرى على السنتهم سر من اسرار المحزون عليه افندينا توفيق باشا فانه لم يحدث نفسه بشيءٍ من الضرر بالنسبة اليَّ وانما كانت الاصوات تسمع حوله من غير فمه الطاهر تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه واضم لهذا كله الثناء والشكر لمحرري الجرائد المحلية المؤيد والوطن والمقطم والاهرام والفلاح والمحروسة والبسفور والفاردالكسندري والاجيبسيان غازت وغيرها من الجرائد التي اشفقت على هذا الضعيف فاستمالت القلوب اليه .

ثم اني اشكر عناية اخواني الوطنيين واهتمامهم بي قبل السفر وعند العودة فرحين مهنئين بالنجاة والسلامة اما فضلاء الشام وامراؤه فقد ضمن لهم كتابي النخلة في الرحلة ما وجب لهم من الثناء وحسن الذكر . ولتكن هذه العجالة مقدمة شكر وفاتحة ثناء لأُناس باعوا حياتهم ومظاهرهم بمجد خالد

اشتروه بالمحافظة على اخيهم الوطني لا يبتغون الا الذكر الجميل في الدنيا ورضا الله تعالى في الآخرة فلله هم ثم لله هم فان اسير احسانهم وحافظ معروفهم

خادمهم عبد الله النديم

الادريسي

﴿ فصلٌ ﴾

في الاخلاق والعادات

جرت عادة الله تعالى في خلقه ان يجري كل امة وطائفة على اخلاق وعادات يلهمهم اياها عند حكم الضرورة بالتزام العادة والتلبس بالخُلق فيقلد الضعيف القوي والبليد الذكي حتى يسري ذلك في افراد الامة او الطائفة ويصير كانه جبلي فطري يتوارثه الابناء عن الآباء . وبوصولها هذه الدرجة يظهر استحسانها استقباح غيرها من اخلاق وعادات الغير حتى لو اتخذنا محكمين من امتين لاصر كل منهما على تصويب امته وتخطيء غيرها وتفرقا على النفرة والتضاد . واذا استبصر احد الافراد وراى قبح شيء مما عليه طائفته ونبههم على ذلك محتجاً بالدليل النظري والبرهان العقلي حكم عليه بالجنون والغفلة عن خصائص الامم . وبهذا يعز على الامم ان تغير عاداتها ما دامت في حيز لا يدخله غيرها وليس هذا من خواص الشرق او الغرب بل هو من لوازم الامم البعيدة عن الاختلاط الانساني يشهد بذلك عصر العزلة الذي قضى على كثير من العقلاء باراقة الدماء حفظاً لعادة او تاييداً لخلق . ومن هنا يعلم قدر